مجلة مجمع اللغة العربية

الجزء الحادى والسبعون
جمادى الأولى ١٤١٣ هـ
نوفمبر ١٩٩٢ م

نظرية الحقول الدلالية
والمعاجم المعنوية عند العرب

للدكتور محمود جاد الرب

نتناول فى هذا البحث أهم الأسس التى قامت عليها نظرية الحقول الدلالية فى الدراسات اللغوية الحديثة ، ثم نقارن بينها وبين فكرة المعاجم المعنوية عند العرب محاولين بيان أوجه الاتفاق والاختلاف بين هذه وتلك ، هذا على الرغم من الاعتراف بأن الهدف عند الفريق الأول يختلف عنه عند الفريق الثانى ، كما أن الطرق التى اتبعها كل فريق منهما لتوضيح دلالات الألفاظ متباينة .

وعلى الرغم من ذلك فإننا نرى وجود تشابه ما بين الدراسات الغربية الحديثة والبحوث العربية فى مجال المعاجم المعنوية ، حيث كانت هذه الدراسات وتلك البحوث تتناول مجالا مشتركا واحدا ومستوى لغويا متماثلا ، ونعنى به مجال الدلالة أو المعنى ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن تناول الألفاظ عند الباحثين المحدثين والدارسين العرب من حيث توزيع اللغة على مجالات دلالية متعددة جاء متشابها ، وإن كان الخلاف بينهما يكمن فى طرق التناول داخل الحقول الدلالية ، وفى توزيع المفردات على الحقول المتنوعة .

وسنتناول فيما يلى أهم الأسس التى قامت عليها نظرية الحقول الدلالية فى الدراسات اللغوية متبعين ذلك بما ورد عند العرب فى مجال المعاجم المعنوية .

ينبغى أولا أن نشير إلى أنه توجد مصطلحات عدة تستعمل فى هذا المجال، وأهمها :

١ – حقل الكلمة أو الحقل القاموسى الكلمة lexical field ، ويقابلة بالفرنسية Champ lexical ، وبالألمانية Wortfeld .

٢ – المجال الدلالى أو الحقل الدلالى Semantic field ، وبالفرنسية Champ semantique، وبالألمانية Semantisches Feld وذلك إذا كان المقصود به التعبير عن الملامح فى دراسة المعانى القاموسية .

٣ – المجال اللغوى linguistic field ، وبالفرنسية Champ syntactique وبالألمانية Syntaktisches Feld ، وهذا المصطلح بعيد عن مجال البحث فى هذه النظرية .

٤ – الحقل التركيبى Syntactic field وبالفرنسيةChamp linguistique وبالألمانية Sprachliches Feld ، وقد يستعمل أحيانا للتعبير عن المجال الدلالى التركيبى للكلمة ، هذا ويميز بعض الباحثين بين حقل الكلمة والحقل التركيبى .

بدايات النظرية :

إن بدايات هذه النظرية تعود إلى عام ١٨٧٧، فقد أشار أومان إلى أن "تجنر Tegner" استعمل مصطلح حقل فى مقال له بعنوان «تقديم أفكار الحقل اللغوى ....." Die Idee des Sprachlichen Feld " كما أشار "بالدنجر Baldinger" إلى أن "أبل Abel" استعمل عام ١٨٨٥ "مفهوم الحقل اللغوى" ، كما يذكر أن " ماير Meyer" أول من عرض أفكارا بشكل منظم ، وكان ذلك عام ١٩١٠ فى مقالته المسماه " نظم المعنى Bedeutungssysteme" ، وقد حدد النظم الدلالية على أنها ارتباط منتظم لعدد محدود من التعبيرات من وجهة نظر فردية .

وقد ميز " ماير" بين ثلاثة أنواع من نظم المعنى : النظام الطبيعى ، النظام الفنى (مثل الألقاب العسكرية ، والتى قدم لها بدراسة خاصة عام ١٩١٠) ، النظام شبه الفنى (مثل مصطلحات الصيادين والحرفيين) .

إن هذا التمييز ظهر بشكل أو بآخر فى بحوث أخرى ، عند فايسجوبر

وكوسريو مثلا ، كما يذكر "ماير" نفسه أن صيغة نظمه الدلالية كانت موجودة عند " أوستهوف Osthoff" فى بحثه المسمى "طبيعة التعريف فى اللغات الهند جرمانية Suppletivwesen der indogermanischen Sprachen" الذى طبع عام ١٨٩٩ بمدينة "هايد لبرج" بألمانيا .

وقد لفت "كوسريو" الانتباه إلى رائد قديم من رواد التحليل الحقلى ، وهو "هايسى "Heyse" الذى تناول حقل كلمة "Schall" بمعنى " صوت " فى عمله الذي نشره بعد وفاته شتاينتال " Steinthal" ، والذى جاء بعنوان "نظام علم اللغة" ، وقد طبع عام ١٨٥٦ ببرلين ، وإن كان "هايسى" لم يتحدث عن حقل الكلمة إلا أن تحليله كان ذا قيمة منهجية ، ويمكن أن يعد إسهاما فى علم الدلالة البنيوى.

ويشير " أوتو Otto" إلى أن " أدولف شتور Adolf Stohr" فى كتابه "كتاب المنطق التعليمى فى الوصف النفسى (لايبتزج – فينا ١٩١٠) أول من قام بعمل علاقة بين الحقول الدلالية ومجموعات الحقول ، كما يشير "شڤارتز Schwarz" إلى الاستعمال اللغوى لمصطلح "حقل" عند "ڤرنر Werner" فى كتابه "أصول المجاز " الذى طبع بلا يبتزج عام ١٩١٩. (١) .

ويرى "أولمان" أن رواد المدرسة الحديدة (نظرية الحقل) تعود فى الألمانية إلى "هردر Herder " عام ١٧٧٢ ، وإلى "هومبلدت Humboldt" (١٧٦٧ – ١٨٣٥) الذى يعد الجد الروحى الأعلى لهذه النظرية ، ثم يشير إلى ما ردده كثير من العلماء من أن معظم الأفكار التى طورها "تريير Trier" توجد بوضوح عند "أوستهوف" أحد علماء مدرسة النحاة الشبان .

أما شيوع المصطلح بوصفه مفهوما لغويا فإنه يعود فى البداية إلى "هوسرل Husserl" ، "وفرديناند دى سوسير".(٢).

إسهامات ف. دى سوسير :

يرى ف . دى سوسير أن كل كلمة تحاط بشبكة من الخواطر والأفكار التى ترتبط من خلالها بالكلمات الأخرى ، إن

هذه التداعيات ترتبط بالمفهوم وبالصيغة ، حيث تمتد إلى المعنى وإلى الشكل ، وقد مثل لذلك بكلمة .

" تعليم enseignement" ، والتى يتفرغ منها أربعة خطوط :

١ – الاتصال بالفعل شكليا ودلاليا لأنه نفس الجذر .

٢ – الاتصال بكلمات التعليم والتربية والثقافة من خلال المشابهة فى المعنى.

٣ – الارتباط بكلمات تنتهى باللاحقة (-ment) حيث تشترك معها فى تلك اللاحقة التى تساعد فى تشكل تجريد الفعل .

٤ – الارتباط بالصفة "element" بمعنى" رقيق – لطيف – حنون" وبالظرف "justment" بمعنى" بحق – بعدل " للتشابه فى النهاية .

هكذا يكون التشابه الذى يعتمد عليه ف . دى سوسير فى بيان العلاقة بين المفردات إما فى المعنى أو فى الصيغة وبذا تستطيع الكلمة – عنده– أن تثير أو تستدعى كل مفرد يمكن أن يتوافق معها فى الشكل أو فى المعنى إنها نقطة التقاء عدد غير محدد من المصطلحات المتناسقة .

إن فكرة ف . دى سوسير عن القيمة اللغوية تتصل بنظرية الحقل الدلالى ، فقيمة الكلمة عنصر واحد من عناصر المعنى ، وتزداد قيمة بعض الكلمات من خلال اتصالها بالأخريات ، كما أن قيمة الكلمة تختلف فى لغة ما عنها فى لغة أخرى ، فقيمة المضارع فى الألمانية ليست مثل قيمته فى اللغات الأخرى التى توجد بها بجانب المضارع صيغة أخرى خاصة بالمستقبل ، كما أن قيمة الجمع فى الإنجليزية تختلف عن قيمته فى العربية مثلا ، حيث تشمل صيغة الجمع فى الإنجليزية قيمة المثنى التى توجد فى العربية . (٣) .

وقد تابع "بيللى" تلميذ ف . دى سوسير هذه الاستدلالات ، وقدم مفهوما

مناسبا ، ونعنى به "حقل المشاركة أو الارتباط " ، وقد حصره فى المشاركات الدلالية ، مع التوسع فى التحليل ، يقول : حقل المشاركة (الارتباط) هو الفناء الذي يشتمل على الرمز ، والذى تمتزج أطرافه فى مجاله ، ففى كلمة "ثور" يفكر الإنسان فى :

١ – بقرة – عجل – بقرة صغيرة – قرون – يجتر – يعض .

٢ – يحرث – محراث – ناف (الخشبة التى تعلق على رقبة الثور عند الحرث)

٣ – اللحم – المذبح – الجزار .

هذا بالإضافة إلى التفكير فى الفرنسية فى تصورات مثل : قوة – أناة – صبر – عمل – صبور – بطء – صعوبة– استكانة . (٤)

إبسن :

يشير " إبسن Ipsen" فى عام ١٩٢٤ إلى فكرة الحقل الدلالى قائلا :

"وبالإضافة إلى ذلك فإن هناك كلمات خاصة لاتقف وحيدة فى اللغة ، ولكنها ترتبط بمجموعة دلالية ، ولايعنى ذلك أنها مجموعة اشتقاقية ... إن مثل هذه يرتبط محتواها الشعورى بمحتويات شعورية أخرى . إن هذا الارتباط ليس سردا فى خيط من تداعى المعانى ، ولكنه يعنى أن المجموعة كلها تحدد مجالا معنويا تندرج فيه ، وكما فى الفسيفساء تتناسب الكلمة مع الأخرى ، فتوضح كل منهما الأخرى، وتتناسب المعالم بعضها مع البعض الآخر، وتشترك كلها فى وحدة شعورية (معنوية) فى نظام أعلى ، ولا تندمج فى تجريد آسن" .

ويظهر فى هذا النص أن الأساس فى فكرة الحقل كانت مقارنته بالفسيفساء ، وقد استعملت هذه الصورة عند "ترير" ولا يبعد "ترير" نفسه تأثر عمله فى نظريته الحقلية بأفكار "إبسن" يقول : "وما إذا كنت طورت نظرية الحقل بمساعدة ف . دى سوسير فقط ، أو ما إذا كانت السطور الاثنا عشر القصيرة عند " إبسن" أثرت فى عملى فإنه لا

يمكننى القول أكثر من ذلك .. إننى أدين بالفضل فى هذا الفهم لفرد يناند دى سوسير ولفايسجرير" .(٥)

تـــريـــر :

نشر " جوست ترير " الجزء الأول من عمله الكبير "الثروة اللفظية للغة الألمانية فى دائرة العقل – تاريخ الحقل اللغوى من البدايات إلى بداية القرن الثالث عشر" فى هايد لبرج عام ١٩٣١، وقد تطور بحث الحقل منذ ذلك الحين فى اتجاهين مختلفين ، فمن جهة أنجز تلامذة "ترير" بحوثا فردية فى موضوعات متشابهة فى عصور متنوعة من تاريخ اللغة الألمانية ، وقد امتدت مثل هذه البحوث إلى الإنجليزية والفرنسية ، ومن جهة أخرى اشتعلت مناقشة حيوية فى تعريف مفهوم "الحقل" .

وقد استخدم "ترير" مصطلح الحقل اللغوى Sprachliches Feld أو مصطلح " حقل الكلمة Wortfeld" . إن حقله يرمز إلى شئ بين الكلمة المفردة ومخزون الكلمة العام ، إنه الحقائق اللغوية التى توجد بين الكلمات المفردة ومجموع الثروة اللفظية التى لها اشتراك مع الكلمة فى حالة سنكرونية بوصفها مجموع الجزء ، إن فكرة التبادل العضوى أو التفرع تعود مباشرة إلى "هومبلدت وف . دى سوسير" .

وهكذا تتضح فكرة "ترير" أو زعمه فى أن الكلمات تغطى المجال الكلى للحقل ، كما أن الحقول تغطى المجال الكلى للثروة اللفظية ، وهذا يعنى أنها تغطى – دون فجوات – المجال المعكوس فى اللغة" . (٦).

أما عند "إبسن" فإن المرحلة الأولى فى تكوين الحقل تنحصر فى مساواة صيغ الأعضاء ، ولكن "ترير" ينقد "إبسن" فى ذلك بقوله : إن المساواة فى الصيغة ، وكذلك المساواة فى النظام الشكلى ليس ما يحدث فى داخل الحقل بل إن المهم هو فى أى حقل يصبح، إن تطبيق الاهتمام باللغة يوضح لنا أننا لا نراعى فى الكلمات المتشابهة دلاليا الانتظام المادى أو الشكلى بمعنى المشابهة فى مستوى التعبير .

وقد كان فهم "إبسن" و "بورزج Porzig" و " جولس Jolles" للحقل اللغوى بتضييق الحقل الدلالى الذى اقترحه "ترير" ، وقد تعامل "إبسن" أساسا مع المادة اللغوية للغات الهند أوربية التى تخلو من وجود السياق ، ومن ثم بحث عن أسس لغوية لوجود الحقل ، وقد وجده فى التقارب الشكلى والوظيفى للعناصر فى الحقل ، وفى استخراج مجموعات الكلمات التى تتحد من خلال ملامح صرفية ودلالية .

إن حقول "بورزج" صلات دلالية تتكون من نمط (الفعل + الفاعل + المفعول) وليس من الضرورى أن يوجد المفعول دائما فى الجملة ، ويمكن التمثيل للصلة الدلالية المشار إليها بالأمثلة التالية: ينبح الكلب – تمسك اليد – ترى العين – تسمع الأذن – يلعق اللسان – يصهل الحصان – تقطع الشجرة .

وقلد أشار "بلانكى" إلى وجوب التفريق بين نوعين من الوحدات القاموسية المفتوحة ، وهى الوحدات التى تزيد وتنقص فى اللغة بمرور الزمن مثل : كتاب – شارع – يقرأ ... إلخ ، فى مقابل الوحدات المغلقة ، وهي التى لا تتغير خلال العصور المتتابعة ، وذلك مثل حروف الجر ، وأسماء الاستفهام وحروفه، وأسماء الشرط وحروفه ... إلخ، وهذان النوعان من الوحدات القاموسية المفتوحة وهما :

١ – الوحدات التى ينسجم بعضها مع البعض الآخر على أساس من ميل معين ، وتشكل حقلا خبريا ، ففى المنهج التحويلى يسمح التركيب النحوى العميق لجملة ما بتحقيق إمكانيات نحوية متعددة ، ولكن لا يمكن أن يقبلها المتكلم والمستمع ، لأن الوحدات القاموسية المستعملة لا ينسجم بعضها مع البعض الأخر نحويا ، ومن هنا يستطيع الإنسان أن يتكهن قليلا أو كثيرا بالافتراضات فى الجملة ، فإذا وجد الإنسان أداة التعريف

(أل) فى اللغة العربية مثلا فإنه يتوقع بعدها اسما ، وإذا وجد اسم الإشارة (هؤلاء) فإنه يتوقع بعده اسما جمعا مؤنثا أو مذكرا أو فعلا مسندا إلى ضمير جمع (واو الجماعة أو نون النسوة) ، ولكن على الرغم من ذلك فإن إمكانيات تتابع مثل هذه الكلمات محدود جدا على العكس من الصلات الدلالية بين كلمات النوع الثانى من الوحدات القاموسية المفتوحة .

٢ – الكلمات التى يتبع بعضها بعضا فى تمثيل الجملة على أساس من ملامحها الدلالية المشتركة فى القاموس وتشكل حقلا للكلمة ، وذلك مثل : ينبح الكلب ، ترى العين ، تسمع الأذن ، ينهق الحمار ... إلخ .

وتوجد مثل هذه الارتباطات الدلالية بين الكلمات فى مجال أصوات الحيوانات والطيور (هديل الحمام – صهيل الفرس ... إلخ) ، وفى أعضاء الجسم (يعض بالأسنان ، تسمع الأذن ، يذوق باللسان ، يلمس باليد أو بالأصبع ... إلخ) ولكن على الرغم من وجودها في مجالات متعددة أخرى مثل : يكتب بالقلم ، يقطع بالسكين ، يضرب بالسيف ، يطعن بالرمح ... إلخ ، فإنها محدودة ، وإن كان قد اهتم بالبحث فيها بورزج ، ويرى بلانكى أن هذا المفهوم للحقل لا يتضمن ارتباطا مقنعا للوحدات القاموسية المقصود بالبحث .(٧)

هكذا يمكن القول إن حقول "برزج" ذات الصلات الدلالية المشار إليها لا تشتمل على كل الثروة اللفظية للغة ، فهناك كلمات لا يرتبط بعضها مع البعض الآخر دلاليا وهى الكلمات التى تستعمل مع كلمات أخرى فى سياقات معينة أو فى مواقف خاصة .

أما حقول "جولس" فإنها تتكون من صلة ثنائية من نمط : والد – ابن ، يمين – يسار ، نهار – ليل ، حياة – موت .

وقد انتقد "ترير" الحقل الدلالى ذات

الصلة الثنائية عند "جولس" ، حيث يرى أن هذا الحقل يندرج فى مجال أكبر ، فنمط (والد – ابن) يندرج فى حقل أكبر وهو حقل القرابة الذى يتكون من كلمات عدة ، كذلك الأمر بالنسبة لحقل (يمين ويسار) الذى يندرج تحت حقل الجهات . (٨)

وقد كان انشغال "ترير" بالثروة اللفظية للغة الألمانية وتتبع التغيرات التى تطرأ عليها بمرور الزمن سببا فى اهتمامه بالحقل ، يقول "ترير" : "لقد ظهرت لى مسألة الحقل عند الاهتمام بالثروة اللفظية للغة الألمانية ، أى بفهم تغيرها التاريخى ، ذلك الاهتمام الذى شغلنى منذ عام ١٩٢٣ " هذا وقد اعترف "ترير" بأنه تأثر بفرد يناند دى سوسير بصفة خاصة وبفايسجرير ، كما يتضح مدى تأثره العميق بأفكار "هو مبلدت" ، وبخاصة فى فكرته اللغوية ، وفى فكرته عن الحقل(٩) .

وقد عد "ترير" الثروة اللفظية للغة نظاما مندمجا من الوحدات القاموسية المتشابهة دلاليا ، ويخضع هذا النظام للتغير المستمر ، ولا يقتصر الأمر على اختلاف الوحدات القاموسية الموجودة ونشأة وحدات قاموسية جديدة ، بل إن الصلات المعنوية التى تقع بين وحدة قاموسية ووحدات قاموسية مجاورة تتغير دائما بمرور الزمن ، ومع كل توسيع لمعنى وحدة قاموسية يحدث تضييق المعنى لوحدة قاموسية أخرى أو لكثير منها .

ويكمن العيب الكبير فى علم الدلالة التقليدى – كما يرى ترير – فى أنه يحاول تسجيل تاريخ التغيرات الدلالية للوحدات الفردية بدلا من بحث تغيرات التركيب الكلى للثروة اللفظية ، إن المنهج الذى طبقه "ترير" فى علم الدلالة الديكرونى هو مقارنته تركيب حقل الكلمة فى نقطة زمنية محددة بتركيب حقل الكلمة فى نقطة زمنية محددة أخرى ، ويمكن التمثيل لوجهة نظر "ترير" بالمثال الذى ساقه "ليونز" فى مجال علم الدلالة الدياكرونى بالوحدة القاموسية – الألمانية

"braun" (بنى) التى كـــانت تغطى فى الألمانية فى القرن الثامن عشر فى مجال الألوان منطقة أكبر مما عليه الحال فى الألمانيـة المعاصـرة التى شـاركتهـا فى مجالها كلمة "violett" (بنفسجى) التى جاءتها من اللغة الفرنسية .

وهكذا بدلا من أن نقول إن "braun" كان لها معنيان فى العصور المتقدمة (بنى وبنفسجى) ، ثم اقتسمت معها المعنى كلمة "بنفسجى" – كما مال إلى القول بذلك القاموسيون التقليديون أو علماء الدلالة القدماء – يرى "تريير" أن التركيب الداخلى للحقل الدلالى تغير بين هاتين الفترتين الزمنيتين ، إن كلمة "بنى" لها معني واحد فى نظام لغوي واحد ، ولها معنيان مختلفان فى النظامين اللذين يتبعان عصرين مختلفين ، ومن ثم يثار سؤال هو : لماذا نقول إن "بنى" فى الفترة الزمنيـة الأولى هى نفســهـا "بنى" فى الفترة الزمنية الثانية ، إذا كانت تتبع نظما لغوية مختلفة ؟ (١٠)

ويمكننا الآن تلخـيص فكرة "تريير" عن نظرية الحـقل تلك بأنه يرى الثـروة اللفظيـة للغة فى إطار المنظور التزامنى السنكرونى على أنها كل يتفرع دلاليا ، وتنقسم فى الواقع إلى حقول للكلمات التى يمكن أن تتجاوز أو تتفرع إلى صلات متدرجة ، إن حقل الكلمة أو الحقل اللغوى لرمز ما يمثل كلا متفرعا أو تركيبا منقسما ، إن معنى الكلمة المفردة يرتبط بمعنى الكلمات القريبة منها دلاليا(١١) ويرى "تريير" كذلك أن معانى الكلمات تتحدد من خلال عددها وموقعها فى الحقل الكلى ، كما أن ضبط الكلمة المفردة يرتبط بحالتها الراهنة فى الحقل الدلالى ومن خلال تركيبها الخاص ، إن الكلمات ليس لها معنى إذا غابت عن المستمع الكلمات المتقابلة معها فى الحقل الدلالى ، وتكون غير محددة المعالم وغير واضحة الدلالة إذا لم تتبادل معها الكلمات القريبة منها دلاليا ، وإذا لم يحصل المستمع على نصيبها فى الحقل الدلالى ، كما تبرز حدود الكلمة المنطوقة من خلال اقترابها من تلك الكلمات ، ويشير "تريير" أخيراً إلى مصطلح " الحقل

الكبير" ، لأن الحقل بوصفه كلا ليس مجموعا من أجزاء متناثرة أو من عناصر فردية ، ولكنه يستنتج بوصفه وحدة من حقول كبرى . (١٢)

ثايسجرير :

إن الحقل اللغوى أو حقل الكلمة أو الحقل التركيبى عند ثايسجرير قطاع من عالم وسط فى اللغة الأم الذى يبنى من خلال مجموع عدد من الرموز اللغوية المتضافرة فى عنصر منظم ، إن مثل هذا العنصر مؤثر ، حتى وإن كان غير مدرك بما تحمله من تفاصيل أو غير بصير بها.

وقد انشغل "ثايسجرير" نظريا وعمليا ببناء حقول الكلمات ، وميز فى ذلك بين الطبقات أو القطاعات التالية فى الحقل (ويكون قد تجاوز بذلك "ترير") ويتضح تنظيم حقول الكلمات من التصنيف التالى :

الحقول الطبقية :

وتتفرع إلى الأنواع التالية :

تصنيف ترتيبى : مثل درجات تقدير العمل (ويعطى أمثلة وردت عند "ترير" مثل : مقبول – جيد – جيد جدا – ممتاز) ، وصفوف الأعداد

تصنيف مساحى : مثل حقل كلمات القرابة .

تصنيف عميق : مثل مخروط ألوان.

تصنيف ذو طبقات متعددة : مثل التعبيرات اللغوية التى تطلق على الموت . ويشير "ثايسجرير" أيضا إلى ثلاثة أنماط من حقول الكلمات ، وهى أنماط لها خواص متميزة حسب مجالاتها وهى:

حقول الكلمات فى مجال مظاهر الطبيعة.

حقول الكلمات فى مجال مظاهر المدينة .

حقول الكلمات فى مجال الروح .

ويعلق " جكلر" على هذا التصنيف بقوله : "إن هذه المحاولة لتصنيف حقول الكلمة ليست – من وجهة نظرنا – كافية، حيث لم يقم بعمل منهج منظم لحقل الكلمة ، هذا هو اعتراضنا الرئيسى على بحث حقل الكلمة فى عمل "ترير" ،

و"ڤايسجرير" فالنظرية بذلت جهدا قليلا لعمل منهج عملى لغوى ، كما إنها لم تحل حلا مرضيا مشاكل مهمة مثل تحديد الحقول الدلالية بعضها فى مقابل البعض الآخر ، كذلك لم تحل مشكلة استقلال هذه الحقول (١٣)

إسهامات أخرى فى نظرية الحقل الدلالى:

بالإضافة إلى هؤلاء الرواد فى نظرية الحقل الدلالى ينبغى أن نشير – باختصار – إلى علماء آخرين أسهموا إسهامات لاتنكر ، ونعنى بهم أصحاب القواميس الذين نظموا المادة اللغوية حسب المجموعات الدلالية ، أو حسب الموضوعات وهو ما يسمى Onomastika (– onomastics بالإنجليزية)

وكان"لايبنتز Leibniz" من أوائل الذين اقترحوا القيام بعمل قاموس يؤسس منهجه حسب أنواع الأشياء أو الموضوعات ، أما أول تحقيق عملى لقاموس مرتب حسب المجموعات أو الموضوعات الدلالية فقد وجد عند "روجت Roget" وذلك فى عمله المسمى : Rogets Thesaurus of English Words and Phrases عام١٨٥٢، وعد هذا القاموس مثلا للقواميس الألمانية والفرنسية والأسبانية ، وقد طبع هذا القاموس مرات عديدة (ظهرت الطبعة الحادية والثلاثون عام ١٨٧٣) ، وقد تأثر "روجت" فى هذا العمل بمقولة شاعت فى القرن السابع عشر عن إمكانية تكوين لغة مثالية لتنظيم المعارف العلمية وتطويرها.(١٤)

وقد طالب "باول Paul" "عام ١٨٩٤ فى محاضرة له أمام الأكاديمية العلمية لمنطقة "بايرن Bayern" بأنه عند تناول الثروة اللفظية فإن الترابط أو الصلات بين المفردات ينبغى ألا يهتم بالجانب الصوتى للكلمات فقط ، بل بالجانب الدلالى أيضا ، كذلك طالب "ج . فون جابلينتز G. von der Gabelentz" أيضا بأن الثروة اللفظية ينبغى أن تنظم حسب المعنى ، وأنهى "ف . دورن سايف Dornseiff" بتأثير الترتيب المعنوى ومشاكل الترادف عمله المسمى " الثروة

اللفظية للغة الألمانية حسب مجموعات الأشياء ، وصدرت الطبعة الأولى عام ١٩٣٣ " Der deutsche Wortschatz nach Sachgruppen" ، ثم ظهر فى عام ١٩٥٢ خلال انعقاد مؤتمر علم اللغة العالمى السابع فى لندن عمل "هلج / فارتبودج Hallig/Wartburg" المسمى "نظام المفاهيم Begriffssystem"(١٥)

نقد النظرية :

وجهت انتقادات كثيرة إلى هذه النظرية ، ويمكن توضيح أهم تلك الانتقادات فى النقاط التالية :

١ – مسألة تعريف الكلمة أو تحديدها دلاليا ، فمن المعروف أن كل كلمة مفردة تحصل فى الحقل الدلالى على تعريفها أو تحديد محتواها وعلى مكانتها (قيمتها المكانية) من خلال صلاتها بالأعضاء الأخرى فى الحقل ويرى "ترير" أن الكلمة المفردة تحصل على تحديدها الدلالى من التركيب الكلى ، وقد أشار "كاندلر Kandler" إلى أن هذا الأساس من التعريف المتبادل يؤدى إلى صعوبات منطقية ، حيث يدخل التعريف فى دائرة .

٢ – مشكلة الحدود الخارجية ، وتعنى الحدود الخارجية الحدود بين الحقول الدلالية ، وقد مس "ترير" فى أعماله عن حقل الكلمة مسألة الحدود الخارجية مسا خفيفا ، ولكنه لم يحل المشكلة حلا مقنعا ، ومن الجدير بالذكر ما قدمه "شفارتز Schwarz" من إسهامات فى حل مشكلة الحدود بين الحقول الدلالية ، وقد كان على الرغم من ذلك متشائما ، حيث صرح بأنه لا يتوقع أن توجد خطوط واضحة بينها ، لأن المحتوى اللغوي يمتد من حقل إلى حقل دون فراغات، كما أن خيوط الربط بين الحقول ليست منقطعة تماما .

ويحاول "شفارتز" أن يقدم أساسا لاكتشاف مناطق الحدود ، وقد جاء هذا الأساس غامضا ، حيث يقول : "إن غياب التطابق يقدم للباحث –

بالنظر إلى انخفاض العلامات بسبب قلة التوقع بين أعضاء الحقل – علامة مؤكدة كذلك ، حيث يخف التشابك أو تقل السمات ، وينتهي الحقل فى محيطه الدائرى ، وبذا يمكن تفادى الخطر الناتج من عدم وضوح الصلة بين الحدود "ويعنى هذا أنه كلما قلت السمات المشتركة بين أعضاء الحقل فإن ذلك يدل على انتهاء الحقل والانتقال إلى حقل دلالى آخر ، وليس الأمر سهلا كما يبدو ، ومن ثم نجد أن "شفارتز " نفسه يرى فى أعماله الحديثة عن الحقول أنه ليس مهما فى بحث تنظم الحقل تحديد الحدود الخارجية ، هذا وقد انتقده فى الاهتمام بمسألة الحدود الخارجية علماء أخرون من أمثال "جبر Gipper" ، وأولمان الذي يقول : إن بعض الكلمات والحقول تكون متداخلة أكثر مما تكون محددة (١٦). وقد عارضت نظرية الحقول الدلالية " أكسار Oksaar" ، حيث ترى أن نظرية حقل الكلمة لا تصلح للغة بصفة عامة لأنه يفترض عدم وجود حدود واضحة بين الحقول المفردة ، كما لا يوجد فى اللغة دائما حدود دقيقة بين مجموعات الكلمات ، وليس الحقل الكلى لكل الناس متساويا ...

إن الحديث عن تحديد الحقل الكلى ليس حديثا موضوعيا" (١٧)

٣ – وجه علماء كثيرون من أمثال "شايد ڤايلر Scheidweiler"و "بانر Bahner" انتقادات لنظرية الحقول الدلالية ، حيث يرون أنها لم تبن على أسس استقرائية ، أى أنها لم تقم على قواعد أو أسس من النصوص التى بحثها " ترير " ، ويرى " بتز Betz " أن الإنسان يرغب فى أن تكون اللغة جهازاً منطقياً رياضياًدقيقاً ، وأن تتفرع إلى حقول بدقة متناهية ، ودون فراغات ، وبوضوح تام ، وليس هذا هو الواقع دائماً فى كل حال ، ولهذا السبب فإن الحقل ليس شكلاً

تركيبياً جوهرياً للثروة اللفظية ، بل لايعـدو أن يكون نموذجـاً لغـوياً محتملاً .

وقد أثبت " بانر " أن تصور : ترير " عن الحقل لم يقم على عمل تجريبى ، بل على أساس فلسفى ، إن " ترير " نفسه يؤكد أن تصوره عن الحقل لم ينتج من مـفـهـومـه اللغـوى ، بل من تصـوره الفلسـفـى اللغـوى ، وينتـقـد "بانر " تطبيق النظرية ، حيث يقول : " لقـد ثبت فـى الوقت الراهن فـقـر البحث الذى قام على أساس نظرية الحقل ، حيث إن " ترير " وتلامذته انشـغلوا بحـقـول تجـريدية فـقط ، ودرسوا عصوراً لغوية قديمة " .

ويعلق "جكلر" على هذا النص قائلاً : إن هذا النص يثير نقطتين جديرتين بالمناقشة هما :

أ – هل تناسب نظرية الحـقل بحث ما يسمى " الألفاظ التجريدية " فقط ؟ وقد أشار " ليونز " إلى تلك النقطة أيضاً ، حيث يرى أن الإنسان طالما يمكنه التمييز بين الحـقـول التـجـريدية والحـقـول المتجسدة فإنه يكون من الأفضل أن يـطـبـق نموذج " تـريـر " فـى الحقول المتجسدة التى للوحدات القـاموسـية فـيـهـا دلالة مـحـددة أكثر من أن يطبق على الوحدات التـجـريدية التى لا تتـمـتـع بهـذا التـحـديد الدلالى ، ثم يقـول إن نقـاد " ترير " كـانوا على حق حـيـنمـا أشـاروا إلـى الخطر المنهـجى وهـو أن النظرية كلـهـا تطورت على أســـاس تحليل الوحـدات القـامـوسـيـة التى اعتمدت على تعقيدات المفاهيم المأخوذة من مـجال التـجـريدات العالية أو السامية مثل : الذكاء والفهم ، الجمال ، وقد أشار إلى ذلك أيضاً"قوادرى Quadri"(١٨).

ب – ركـز البـحث الذى قـام على أساس نظرية الحقل جهده على العصور اللغوية القديمة ، وقد

عبر عن ذلك مجموعة كبيرة من اللغويين .

٤ – لم تسر النظرية وتطبيقها العملى ونتائجها المادية عند " تريير " ومن تبعه من اللغوين فى طريق واحد ، كما هاجم " شايد ڤايلر " فى مجموعة من مقالاته عام ١٩٤١ النتائج المادية لهذه النظرية ، ويرى أنه من الصعوبة لغير المتخصصين فى الدراسات الجرمانية – إن لم يكن من غير الممكن – الاشتراك فى مناقشة تفسير النصوص التى وردت فى المسألة تفسيراً مادياً ، كما هاجمها واحد من أشهر علماء الدلالة وهو "كوسريو Coseriu" (١٩).

٥ – عدم الاهتمام بالسياق الذى ترد فيه الكلمة ، ولا نود فى هذا المقام أن نشير إلى حقيقة أصبحت مؤكدة فى مجال البحث الدلالى ، وهى أن دلالة الكلمة لا تتحدد إلا فى إطار السياق اللغوى ، وهو ما يحيط بالكلمة من كلمات أخرى فى الجملة أو فى العبارة أو فى النص كله ، كما يتحدد المعنى أيضاً من خلال معرفة السياق غير اللغوى ، والذى يشتمل على الأشخاص والعلاقات بينهم ، والحدث والسمات الاجتماعية والشخصية والاتصال غير اللغوى... إلخ ، ويمكن القول باختصار إننا نقصد بالسياق ما ورد عند فيرث تحت ما يسمى " سياق المقام " والتطورات التى حدثت فى تصور مفهومه عند العلماء الذين جاءوا بعده من أمثال " أمر Ammer " الذى يقترح تصنيفاً رباعياً للسياق هو :

– السياق اللغوى ، ويقصد به علاقات الكلمة بغيرها من الكلمات الأخرى .

– سياق المقام ، ويقصد به الموقف الذى تنطق فيه الكلمة .

– السياق العاطفى ، ويرتبط بالانفعال العاطفى الذى تستعمل فيه الكلمة .

- السياق الثقافى ، ويقصد به البيئة الثقافية والاجتماعية للكلمة (٢٠) .

ويؤكد ليونز على أنه من الضرورى عند بحث المفردات فى إطار الحقل الدلالى ملاحظة أساسين :

الأول : ملاحظة السياق الذى ترد فيه الكلمات .

الثانى : استحالة بحث الثروة اللفظية للغة ما دون ارتباط ذلك بالتركيب النحوى لتلك اللغة ، حيث يحدد مفهوم الحقل ، - كما ورد عند علماء البنيوية - من خلال الصلات الجدولية Paradigmatic ، والصلات النحوية التركيبية Syntagmatic التى تقع بين هذه الوحدات والوحدات الأخرى التى توجد فى إطار النظام اللغوى المعطى دلالياً « جدولياً وتركيبياً »، إنها تتبع المجال أو الحقل الدلالى نفسه ، ويمكن القول إنها عناصر أو أجزاء الحقل . إن حقل الكلمة لذلك جنس أعلى من الثروة اللفظية نحوياً وجدولياً .

تطور نظرية الحقل الدلالى « نظرية تحليل المعنى »:

تأثرت نظرية تحليل المعنى بما ورد عند " تريير " و " ڤايسجرير " من توضيح معانى الكلمات فى إطار مجالها أو حقلها الدلالى ، وإن كانت قد اعتمدت بصفة أساسية على مدرسة براغ التى اهتمت بتحليل الفونيمات ، فقد أشار " چكلر " إلى أنه من المعروف أن المناهج البنيوية التى اهتمت باللغة ظهرت أولاً فى مجال الأصوات ، ثم انتقلت سريعاً إلى النحو ، وكان أول من فعل ذلك " ياكوبسون " ، كما اعتمدت نظرية تحليل المعنى على المدرسة الدانمركية ، فيرجع الفضل إلى العالم اللغوى الدانمركى " هيلمسلف " (١٩٤٣) فى أنه أول من اقترح المنهج فى المستوى التعبيرى ، وفى بحث الثروة اللفظية ، وانطلاقاً من أساس أن التعبير والمحتوى متلازمان نقل " هيلمسلف " الأفكار الحاسمة التى تهتم بإبراز الرموز فى التحليل إلى مجال الثروة اللفظية .

ويمكن أن نقول من منظور علم

الطبيعة إن " هيلمسلف " أنجز فى مجال القاموس خطوة فى الذَّرة Atome «أصغر الرموز اللغوية فى مجال اللغة » ، عندما رأى إمكانية تجزئة الوحدات التى لا تجزأ إلى أصغر الوحدات « أشكال هيلمسلف المسماه Figurae » ، وإذا كان يرمز فى مستوى التعبير بالفونيمات على أنها الأشكال التى لا تتجزأ فإنه يقابلها فى الأشكال البنيوية ما نسميه نحن الآن " الملامح الدلالية المميِّزة Semes " ، ويقدم " هيلمسلف " فى نظريته أمثلة لذلك ، كما يتصورها فى الدرجة الأولى من التحليل:

ram « كبش » ، ewe « نعجة » ، man « رجل » ، woman « إمرأة » ، boy «ولد» ، girl « بنت » ، stallion « فرس »، mare « فرسة » .

وتتحدد هذه الوحدات الثمانى فى الثروة اللفظية من خلال ستة عناصر «مكونات » ، وإذا نظرنا إلى رقم ١ ، ورقم ٢ ، وإلى رقم ١ ، ورقم ٧ مثلاً فإننا نجد أن أى تغيير لعنصر واحد منها كاف فى كلتا الحالتين للتغيير فى المستويات اللغوية الأخرى ، ويطلق " هيلمسلف " على هذا السلوك مصطلح " اختبار التبديل أوالتغيير " exchange test " ، وينتمى ذلك إلى نماذج الاتصال ، ومن المعروف أنه يستبعد بعض الوحدات من التحليل ،لأنها تتضح ارتباطياً من خلال علاقتها بوحدات أخرى ، فالبنت إنسانة ، وكذلك الطفل (٢١) .

وقد استخدم هذا المنهج أيضاً « بريتو Prieto " ، واستخدم نماذج الاتصال السابقة فى تحديد الوحدات الوظيفية والتنوعات الوظيفية فى الجداول الرأسية، كما تشكل نماذج الإتصال من جهة أخرى جهازاً لتحليل الوحدات القاموسية إلى ملامح مميزة (٢٢) .

وقد برز من اللغويين الذين اشتغلوا بتحليل المحتوى إلى السمات المميزة ثلاثة هم : جرايماس Greimas ، وبوتيه Poltier، وكوسريو Coseriu ، وقد عمق هؤلاء الباحثون منذ عام ١٩٦٢ – دون ارتباط بينهم – فهمهم . كما تطابقت وجهات نظرهم فى النقاط الأساسية .

وقد قدم "جرايماس" فى كتابه : Semantique structurale recherche de méthode " (باريس ١٩٦٦) مثالا للتحليل فى مجال الصفات فى الفرنسية الحديثة، حيث يذكر خصائص كل صفة .

وأعطى "بلانكى Blanke" أمثلة للعلاقات بين الكلمات فى الحقل الدلالى الواحد ، حيث يميز فى نظام التحليل القاموسى بين أربعة أنواع من الصيغ الجماعية :

١ – تقابلات ثنائية قطبية : رجل / أمرأة ، غنى / فقير ، ذكى / غبى ، سخن / بارد ، صلب / لين ، قوى / ضعيف ، صحيح / خاطئ .

٢ – ثنائيات متقابلة نسبيا مثل : والدان / أطفال ، أب / ابن ، يمين / يسار ، فوق / تحت .

٣– نظم رمزية متدرجة مثل : مقاييس الأعداد (واحد – اثنان – ثلاثة ..إلخ) مقاييس الأطوال (سنتيمتر – ديسمتر – متر – كيلو متر ، بوصة – قدم – ياردة – ميل) .

٤ – المصطلحات العلمية ، والتصنيف العلمى للحيوانات والنباتات والتى يوضع فيها الفرد فى مجموعة عامة فى شكل هرمى مثل : زرع – شجرة – جذر – فرع – ورقة – وفى شكل أنواع وأجناس مثل : العائلة – الحيوان .

٥ – التصنيف العلمى المتعدد الذى ينتظم فى شكل دائرة مثل : كلمات الألوان ، كلمات القرابة ، ويمكن أن تتضمن بطريقة جزئية ثنائيات مثل : أب / ابن، أحمر / أخضر .

ويكفى لتصنيف كلمات مجموعة دلالية وتحليلها استخراج عدد صغير من العلامات ، إن هذه الطريقة ناجحة فى مجموعات كثيرة بمساعدة الصلات ، والتى يدلنا على مكانتها الإحساس اللغوى .[٢٣]

ويستطيع الإنسان أن يمثل هذه السمات الدلالية سواء أكانت تقابلية أو كانت العلاقة بينها خلاف ذلك فى نموذج من الجداول ، يكتب فى الجدول رأسيا الصفات أو الكلمات التى تنتمى إلى حقل دلالى واحد ، ويكتب أفقيا السمات التى تشتمل عليها هذه الصفات ، كما يمكن للإنسان أن يمثل هذه السمات فى نموذج من الشكل الشجرى .

إن الكلمات التى تشترك فى سمة أساسية واحدة (يطلق على هذه السمة عند جرايماس وعند بعض اللغويين الآخرين بالطبع مصطلح "noem") تعد مترادفات جزئية homoinymes أو partielle Synonymes ، ومن الأمثلة التى يمكن ذكرها كلمات مثل : غابة – مكان مشجر– أدغال – كمأة – مشتل ... إلخ، حيث تشمل كل هذه الكلمات على سمة أو صفة عامة (noem) ثم تتميز كل كلمة فيها ببعض السمات الخاصة أو حزمة من الصفات التى قد تشترك فى بعضها مع الكلمات الأخرى .(٢٤)

ويمكن التمثيل بمثال آخر أورده "جكلر" نقلا عن "بوتيه" والذى استخدمه فى تحليل الوحدة القاموسية " siége = مقعد " فى الفرنسية الحديثة ، وقدم خمس وحدات قاموسية تشترك فى بعض السمات الأساسية وهى : chaise (كرسى بمسند للظهر) ، fouteuil (فوتيه بمسند للظهر واليدين) tabouret (كرسى بدون مسند للظهر) ، cenape (كنبة) ، pauf (كرسى بدون مساند) ، ثم هناك بالإضافة إلى ذلك بعض السمات الأخرى مثل : لشخص واحد ، للجلوس ، بأذرع ، مصنوع من مادة صلبة .

وتشكل السمات (بأرجل ، للجلوس) سمات مشتركة للحقل ، ويطلق عليها مصطلح "السمات المشتركة archisememes" ، وتحققها يدل على وجود الوحدة القاموسية (مقعد siége)، وتختلف كل وحدة قاموسية عن الأخرى فى سمة واحدة على الأقل ، على حين تتشابه فى السمات الأخرى"(٢٥) .

أما"كوسريو" فإنه يعتقد أن الصعوبة الأساسية هى كثرة عدد الوحدات القاموسية بالمقارنة بالعدد المحدود فى مجال الفنولوجيا (الفونيمات أو الوحدات الصوتية) وفى مستوى القواعد (المورفيمات أو الوحدات الصرفية) ، ويؤدى ذلك بالضرورة إلى صعوبة عملية فى التحليل ، ومن ثم تقل المادة اللغوية المراد تحليلها ، كما مال إلى ذلك هيلمسلف" ، ويرى "كوسريو" أنه يمكن التغلب على هذه الصعوبة بالاعتماد على مجموعة من التفريقات الضرورية ، وأهمها :

١ – التمييز بين الأشياء والأمور غير اللغوية من جهة وكلمات اللغة من جهة أخرى ، إن الصعوبة الرئيسية تكمن فى قرب الوظيفة القاموسية من الواقع الذى يرمز له بالوحدات القاموسية لأن الثروة اللفظية هى الطبقة اللغوية الأخيرة أمام العبور إلى الواقع ، وهذا يعنى أنها تمثل فى اللغة الطبقة أو المستوى الذى يرتبط مباشرة بالحقيقة غير اللغوية. ومن هنا يكون صعبا ، وإن كان عظيم الأهمية دائما ، التمييز بين ما يخص المعنى اللغوى وما يخص معلومات أو معارف الأشياء .

ويثار هنا سؤال هام هو : أى دور يمكن أن تقوم به المصطلحات واللغات الفنية فى إطار لغة ما ؟ ومن المعروف أن المصطلحات العلمية والفنية تخص اللغة ، هذا وإن كان لها شكل مختلف عن كلمات اللغة الطبيعية حيث إنها تمثل إمكانيات استعمال فى اللغة لأنواع من التحققات ، ومجالات جزئية مؤكدة للواقع الخارجى . إن المصطلحات تمثل تصنيفا موضوعيا مبنيا على التمييزات المنطقية المحددة exclusive مثل الحامض = قاعدة فى الكيمياء ، أما المقابلات اللغوية فإنها ليست كذلك ، ففيها نوع من التضمين inclusive ، مثل المقابلة بين نهار وليل ، حيث يكون من الصعوبة

التمييز بوضوح بين النهار والليل ، وبعبارة أخرى يمكن القول إنه من الصعوبة وضع خط فاصل بينهما ، فبينهما نوع من التضمين .

٢ – التمييز بين اللغة الأولى (لغة الأم) "Le langage primaire" وما وراء اللغة " "Le métalangage ، فكل عنصر فى المستوى التعبيرى فى اللغة يمكن أن يستعمل فيما وراء اللغة ، إن الاستعمال فيما وراء اللغة يشكل إمكانية لانهائية من الكلام (parole) ، إنه لا يتضمن تركيبا دلاليا ، لأنه لايتناول مجموعة مصطلحات علمية غير محددة .

٣ – التفريق بين السنكرونية والديكرونية.

٤ – التفريق بين اللغة التاريخية واللغة الوظيفية .

٥ – التفريق بين الأنماط والنظام من جهة ، والنموذج والكلام من جهة أخرى .

٦ – التفريق بين المعنى والترميز .

ويرى "كوسريو" بعد هذه المجموعة من التفريقات أن التراكيب القاموسية تختص بالمحتويات اللغوية ، ولا تهتم بالحقائق غير اللغوية ، وأنها تعتمد على اللغة الطبيعية وليس على ما وراء اللغة ، كما إنها تختص بالسنكرونية ، ولاعلاقة لها بالديكرونية ، وباللغة الوظيفية وليس باللغة التاريخية ، وبنظام اللغة ، وليس بالمعيار اللغوى ، كما تهتم بالصلات الدلالية ، وليس بالصلات الرمزية (صلة الرمز بالشئ أو بالموضوع الذى يشير إليه الرمز) .

وينبغى أن نشير إلى بعض المفاهيم الأساسية فى الحقل الدلالى عند "كوسريو" وأهم هذه المفاهيم توجد فى إطار المصطلحات التالية :

archilexeme , lexeme , seme ،

ويعنى المصطلح الأخير (archilexeme) عند "كوسريو" الوحدة القاموسية الأساسية أو العامة التى تنتمى إلى المحتوى الكلى لحقل الكلمة ، إنها الكلمة التى يتطابق محتواها مع الحقل الكلى

للكلمة ويمكن القول إنها المفردة التى تجمع معظم الملامح الدلالية لحقل ما ، أما الوحدات القاموسية فهى المفردات التى تنتمى إلى الحقل الدلالى العام وتسمى lexemes . وتدل السمة الدلالية (seme) على أصغر خاصة دلالية أو أصغر سمة تتميز بها الكلمة فى التحليل الدلالى ، ويمكن التمثيل لذلك كله بالوحدات القاموسية التالية ، فكلمة إنسان وحيوان هما من الوحدات القاموسية العامة (archilexemes) ، وكلمة رجل أو أمرأة وأسد أو غزال أو ذئب هى وحدات قاموسية (lexemes) ، أما كلمة أنثى الذئب ، أو كلمة الذئب فهما وحدتان قاموسيتان متضمنتان فى وحدات أعلى (hypolexemes) [٢٦].

أما الكلاسى classe فهو مجموع الوحدات القاموسية التى ترتبط ببعضها حيث تأتى لازمة ومتعدية ، ولا يظهر ذلك إلا فى السياق .

ومن النقاط الهامة عند "كوسريو" إشارته إلى أن الحقل الدلالى ليس استعمالا للكلمة أو مجال استعمال لها ، فالحقل لا يتكون من مجموع استعمالات الكلمة المختلفة ، ولكنه يتضمن كلمات تتحدد بالتبادل ، فلا يوجد حقل دلالى يتضمن وحدة قاموسية واحدة ، كما أن من الأمور الجديرة بالتمعن قوله إن الحقول الدلالية لا تتطابق مع حقول المفاهيم ، فإن كان الحقل الدلالى حقلا للمفهوم فليس معنى ذلك أن كل حقل للمفهوم حقل دلالى ، لأن حقل المفهوم يمكن أن يكون أيضا حقلا اصطلاحيا terminologic، إن كل وحدة قاموسية تعبر عن مفهوم أو تتطابق مع مفهوم ، ولكن ليس كل مفهوم يتمثل من خلال وحدة قاموسية .[٢٧]

ويقرب من وجهة النظرهذا التحليل الدلالى عند الأمريكيين "واينرايش Weinreich" وتلميذه " هندكس Hendix" اللذين ينتميان علميا إلى البنيوية الأوربية. أما علماء اللغة الآخرون فى أمريكا فإنهم ينتمون إلى مجال التاريخ الإنسانى ، حيث وجدت مدرسة جديرة

بالاهتمام تكونت من علماء التاريخ الإنساني (الأنثروبولوجيين والعلماء الشعوب البدائية ، وعلماء الأثنولوجيين ، والتي يعود تراثها إلى كروبر kroeber" عام ١٩٠٩) حيث قدموا دراسات تشابه ما قام به علماء تحليل المحتوى الأوربيون، ويمثل هذا الاتجاه : كونكلين Conklin، جود إنف Goodenough، لاونسبوري Lounsbury ، ودرس هؤلاء العلماء لغات متنوعة ، ومنها لغات الهنود الحمر في أمريكا الشمالية ، كما اهتموا بالخواص الانثروبولوجية واللغوية معا .

ويرى لاونسبوري أن ما يرمز إلى القرابات في لغة ما هو الحقل الدلالي ، ويمكن مقارنتها بما يناظرها في اللغات المختلفة ، كما يشير إلى أن كلمات القرابة يمكن أن نراها مركبة ، أو مكونة من مثال ، ويمكن أن نعدها نوعا من التحاليل المتشابهة حيث تعطى في لغة ما مجموعات نموذجية أخرى ، إنه يفهم الحقل على أنه مثال .

ويمكن القول باختصار إنه إذا كان "جرايماس" (١٩٦٦ ، ١٩٧٠) ، وبوتيه (١٩٧٤) وبريتو (١٩٦٤ ، ١٩٦٦) و"كوسريو" ممثلي الاتجاه التحليلي البنيوي للثروة اللفظية في مجال الدلالة في أوربا فإن الاتجاه الأمريكي ظهر غير مرتبط بذلك ، ولم يتطور على أنه نظرية في التركيب الدلالي قام بها علماء اللغة ، بل على أنه تكنيك قام به الأنثروبولوجيون لوصف الثروة اللفظية لألفاظ القرابة ومقارنتها في لغات متنوعة (قارن : جودإنف (١٩٥٦) لاونسبوري (١٩٥٦) ؛ ولس وأتكنس Wallace/Atkins (١٩٦٠) ، وقد تعهد هذا بعد عدة سنوات علماء آخرون من أمثال لامب Lamp (١٩٦٤) ، وندا Nida (١٩٦٤ ، ١٩٧٥)، ووانرايش Weinreich ، كما يمكن النظر إلى محاولات "كاتز وفودور katz/Fodor " على إنها امتداد لهذه النظرية .(٢٨)

ونود أن نشير أخيرا إلى نقطة جديرة بالبحث ، وقد اهتم بها علماء الدلالة الذين ينتمون إلى النظرية التحليلية ، ونعنى بها الصلة بين الوجدات

القاموسية التى تنتمى إلى حقل دلالى واحد ، فمن المعروف أن علم الدلالة البنيوى باتجاهاته المتعددة يهتم بصلات التناظر الجدولى paradigmatic بين الوحدات القاموسية المختلفة ، وقد بدأ "ترير" علمه الرئيسى عن الثروة اللفظية فى اللغة الألمانية بالفكرة التى كانت مثار جدل ونقاش ، وهى أن كل كلمة تنطق تثير نقيضها فى وعى المتكلم والمستمع .

ويرى "ليونز" أن الإجابة عن السؤال الذى أثير كثيرا ، وهو : هل حقيقة تثير الكلمة نقيضها فى وعى المتكلم والسامع عند النطق بها ؟ تدخل فى مجال علم النفس ، وفى نظرية السلوك اللغوى أكثر من أن تكون هامة فى تحليل النظام اللغوى ، كما يرى أن رأى "ترير" يبدو متضمنا أن كل كلمة من الثروة اللفظية لها ضد واحد فقط ، وما إذا كان هذا هو الحال أو غير ذلك فإنه سؤال هام ينبغى أن نشغل أنفسنا به .

ويشير "ليونز" إلى أنواع متعددة من المتضادات توجد فى اللغات المتنوعة ، فهناك متضادات (تضاد = Antonymy) تأتى مقابلة لغيرها مثل ، جيد : سئ ، عال : مخفض ، جميل : قبيح ، عجوز : شاب ، وهناك الإتيان بالضد باستعمال النفى مثل ، متزوج : غير متزوج . ثم هناك التفريق بين التضاد المتدرج وغير المتدرج مثل ، سخن : بارد ، حيث تتدرج السخونة من درجة الغليان إلى درجات أقل ، وكذلك تتضمن البرودة درجات متعددة ، بخلاف نحو : متزوج : أعزب ، وهناك بالإضافة إلى ذلك التضاد التقابلى Antipodel، وذلك مثل : شرق : غرب ، شمال : جنوب، حيث نجد أن "شرقا" تتقابل مع "غرب" ، و"شمالا" مع "جنوب" هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى نجد أن "شرقا وغربا" تتقابل مع "شمال وجنوب" ، أى أن كل واحدة من هذه الوحدات تقع فى تقابلين ، ثم هناك التضادات المتعامدة orthogonal مثل "شمال " التى تتعارض مع "شرق وغرب".

ويفرق "ليونز" كذلك بين صلة التضاد (Antonymy) وصلة العكسية أو العكس

(Conversion) مثل "يشترى" و "يبيع" و"الزوج" و "الزوجة" ، ثم يشير أخيرا إلى أنواع أخرى من التضاد ، وهى التى تقوم على الاتجاه مثل "وصل" و"سافر" ، "ويأتى" و "يذهب" ، حيث إن هذه الوحدات القاموسية تعبر عن حركة فى اتجاهين متقابلين ، وتنقسم إلى تقابلات رأسية وأخرى أفقية ، فالأولى مثل "يمين" و "يسار" ، و"أمام" ، و"خلف" ، والثانية نحو "أعلى" و "أسفل" .

إن ذلك كله يؤدى عنده إلى القول إنه لا توجد إجابة وحيدة عن السؤال :

ما التضاد فى الوحدات القاموسية ؟

إنه يشتمل على التضادات المتعامدة (شمال مع شرق وغرب ، ورجل مع سيدة وشاب وفتاة) ، وعلى التضادات المتقابلة (شمال مع جنوب ، وشرق مع غرب ، وربيع مع خريف ، وصيف مع شتاء) ، ولكنه يصرح فى النهاية قائلا : إنه يمكن القول إن التفريق بين هذه الأنواع بعضها عن البعض الأخر ليس واضحا تماما.(٢٩)

ويكاد يتفق كثير من الدلاليين الذين يمثلون نظرية التحليل الدلالى على أن معنى الوحدات القاموسية للثروة اللفظية يمكن أن يوصف من خلال مجموعة من التقابلات الثنائية ، ويتضمن هذا أن كل وحدة قاموسية يمكن أن تقارن بوحدة قاموسية أخرى من وحدات الثروة اللفظية فى مجال بعدى متعدد الأطراف .

وينبغى أن نشير أخيرا إلى صلة هامة من الصلات الموجودة بين بعض الكلمات ، وقد سبق أن ذكرناها فى موضع سابق ، ونعنى بها صلات التداخل " Hyponymy" بين بعض الوحدات القاموسية ، حيث تندرج إحدى الوحدات القاموسية فى غيرها ، أو بعبارة أخرى توجد وحدة قاموسية عامة تتضمنها ، وذلك مثل ، بقرة : حيوان ، وردة : زهرة ، استقامة : فضيلة ، لبنى : أزرق ، وقد أصبح شائعا الآن استعمال هذا المصطلح للدلالة على تلك الصلة بديلا عن المصطلح الآخر"التضمين Inclusion"، والذى أصبح يستعمل فى معان أخرى

فى علم اللغة وفى المنطق ، وهكذا يمكننا القول إن بقرة مندرجة أو متضمنة فى حيوان ، وإن وردة متضمنة فى زهرة ، كما أن وردة وسوسن ونرجس مندرجة كلها فى زهرة .(٣٠)

ويرى "ليونز" أن تحليل المكونات وسيلة لإقامة الصلات الدلالية التى توجد فى الوحدات القاموسية ، وإن كان لا يرى أن مفهوم "المجال الدلالى" لعب دورا فى تأسيس مجال الصلات الدلالية.(٣١)

وإذا كانت هذه – باختصار – أهم المعالم الأساسية فى جهود لغويى الغرب فى مجال الحقول الدلالية (نظريا وتطبيقيا) فإنه يبقى علينا أن نشير – باختصار أيضا – إلى أهم الأعمال التى حاولت جمع الثروة اللفظية واستطاعت ترتيبها ترتيبا يعتمد على الموضوعات أو على المحتويات ، فنقول إن أهم الأعمال التطبيقية فى هذا المجال دراسة "تريز" لألفاظ اللغة الألمانية فى إطار التصنيف الدلالى أو بالنظر إلى تطبيقها دلاليا من البدايات حتى بداية القرن الثالث عشر والتى ظهرت عام ١٩٣١ ، وكان لها أثرها الكبير فى ظهور دراسات أخرى سلكت هذا المنهج ، فقد قام تلامذة "تريز" بدراسة الثروة اللفظية للغة الألمانية فى عصور أخرى ، وامتد الأثرالى دراسة ألفاظ اللغة الفرنسية والإنجليزية ، ثم ظهرت الدراسات اللغوية الأمريكية فى لغات الهنود الحمر ، وقد اهتمت بالمجال الأنثروبولوجى ، كما سبق القول .

أما أول تطبيق عملى على مستوى المعجم ، فقد أشرنا سابقا إلى معجم "روجت Roget" الشهير فى اللغة الإنجليزية : Roget's Thesaurus of English words and Phrases " ، والذى رتبه بناء على المعنى عام ١٨٥٢ ، ثم ظهر عمل "دورنسايف "فى اللغة الألمانية عام ١٩٣٣ ، ثم المعجم الأسبانى لكاسارس Casares عام ١٩٤٢ ، ثم العمل المنهجى الذى قدمه "ورتبورج وهلج" عام ١٩٥٢ ، ولعل أحدث معجم يطبق نظرية الحقول الدلالية هو ذلك المعجم المسمى "Greek New Testament"

وقد تم الانتهاء من تصنيف مجالات المعجم بعد الانتهاء من تحليل خمسة عشر ألفا من المعانى المختلفة لمفردات يبلغ عددها خمسة آلاف كلمة ، وعلى الرغم من قصور المعجم من ناحية عدم شمول مفرداته ، وبالتالى عدم شمول مجالاتها فإنه يقدم نموذجا جيدا لمعاجم المجالات التى تقوم على التصنيف المنطقى والأساس التسلسلى .(٣٢)

هذه – باختصار – جهود الغرب فى مجال الحقول الدلالية نظريا وتطبيقا ، وينبغى علينا الآن أن نشير إلى ما قدمه علماء العربية فى هذا المجال وسنرى أسبقيتهم ، حيث قدموا عددا وفيرا من الرسائل والكتب التى حوت ألفاظا رتبت حسب المحتوى ، ثم نجد أخيرا معاجم متناثرة سارت على هذا النهج ، لعل من أشهرها وأكبرها على الإطلاق معجم "المخصص" لابن سيده وسنتناول هذه الجهود التى قام بها العرب فى الصفحات التالية .

نبذة مختصرة عن نشأة الدراسات الدلالية عند العرب :

أصبح من القول المعاد الإشارة إلى أن الدراسات اللغوية نشأت عند الأمم القديمة مرتبطة بالنصوص المقدسة دينيا وعقائديا ، وكان الدين البراهمى the Brahmin religion سببا فى الاحتفاظ ببعض مجموعات من التراتيل القديمة جدا نصوصا سرية لهذا الدين ، وأصبح تفسير هذه النصوص واجب مجموعة خاصة من المتعلمين ، وقد اهتمت جماعة الهندوس بهذه النصوص المقدسة فدرسوا أصواتها وقننوا القواعد الخاصة بظواهرها النحوية ووضعوا قوائم من كلماتها لشرحها وتفسيرها واصفين نموذجا صحيحا سموه اللغة الفصحى أو "السنسكريتية" ، ثم توجت هذه الدراسة بما قدمه أعظم النحاة القدماء ليس فى الهند وحدها ، بل فى العالم القديم كله ونعنى به النحوى الشهير " بانينى Panini " .(٣٣)

نشأ البحث اللغوى عند الصينيين استجابة لدراسة الأدب الكلاسيكى والنصوص القديمة ، ورغبة فى تدوين نظام الكتابة التصويرية التى كانت تكتب بها اللغة الصينية القديمة ، وقد انتعشت الدراسات الفنولوجية الصينية فى العصر المتأخر بتأثير التعليم اللغوى للرهبان البوذيين الذين كانوا يتكلمون السنسكريتية حيث أثروا على الصينيين منذ القرن الخامس قبل الميلاد .(٣٤)

أما فى اليونان فمن المعروف أن التفكير اللغوى نشأ فى أحضان الفلسفة وبقى زمنا غير قصير جزءا منها ، حيث كان الفلاسفة اليونانيون هم الذين بدأوا البحث فى اللغة ومشكلاتها ، وكان التساؤل عن أصل اللغة وطبيعتها مثار جدل كبير بين الفلاسفة آنذاك ، كما كانت طبيعة العلاقة بين الدال والمدلول محل نقاش استمر عدة قرون حتى عصر أفلاطون وأرسطو (٣٥).

ومما لاشك فيه أن الدراسات اللغوية نشأت عند العرب لخدمة النصوص الدينية المقدسة : القرآن الكريم أولا ، ثم الأحاديث الشريفة ثانيا ، وانتقل الأمر أخيرا إلى الاهتمام باللغة كلها شعرها ونثرها ، وكان الرسول عليه الصلاة والسلام المرجع الأول الذى يفسر للمسلمين ماغمض عليهم من ألفاظ القرآن الكريم ، فيشرح معانيها والمقصود منها ، وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، قام بهذه المهمة خير قيام الصحابة الأجلاء من أمثال على بن أبى طالب وعبد الله بن عباس ، وهناك روايات شهيرة وردت فى كتب التراث تتحدث عن أن بداية التأليف فى النحو تعود إلى أبى الأسود الدؤلى أو إلى على بن أبى طالب نفسه .

وبدأ البحث فى مجال الدلالة بشرح الألفاظ الغامضة فى القرآن الكريم وربما كان كتاب "غريب القرآن" الذى ينسب إلى ابن عباس (ت ٦٨هـ) أول كتاب يوضع لشرح الكلمات الغريبة فى القرآن الكريم، ثم توالت الكتب فى هذا المجال ، أما التدوين فى الفرع الثانى ، وهو غريب

الحديث فقد بدأ متأخرا ، ويعد كتاب أبى عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـ) فى غريب الحديث أول كتاب – على أصح الأقوال – فى هذا الفرع من الدراسات الدلالية ، وجمع بعض المؤلفين النوعين معا فيما يسمى "كتب الغريبين" ، وتعد هذه الكتب وماتبعها من كتب متنوعة فى مجالات أخرى رتبت أبوابها حسب الحرف الأول بداية التأليف فى المعاجم اللفظية التى كان أولها معجم "العين" للخليل بن أحمد .(٣٦)

وقد أشار ابن خلدون فى مقدمته (٣٧) إلى أن العرب وضعت المعاجم بسبب ملامسة العجم ومخالطتهم حتى تأدى الفساد إلى موضوعات الألفاظ ، فاستعمل كثير من كلام العرب فى غير موضعه عندهم ميلا مع هجنة المستعربين فى اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية ، فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية الدروس وماينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث ، فشمر كثير من أئمة اللسان لذلك ، وأملوا فيه الدواوين وكان سابق الحلبة فى ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدى ألف فيها كتاب "العين"

وقد تتابعت المعاجم اللفظية تقلد الخليل فى ترتيب مادتها اللغوية ، وظهرت معاجم لفظية أخرى كالجمهرة لابن دريد تخلت عن نظام الترتيب المخرجى مع الاحتفاظ بالتقليب ، هذا مع اهتمامه بالكمية ، وإن جاء تناوله مختلفا ، حيث قسم المعجم كله تقسيما كميا (الثنائى – الثلاثى الصحيح – الثلاثى المعتل .. إلخ) ، ثم ظهرت مدارس أخرى فى ترتيب المعاجم اللفظية كمدرسة القافية (الصحاح للجوهرى ، لسان العرب لابن منظور ، القاموس المحيط للفيروزابادى .... إلخ) ، ومثل مدرسة الترتيب الألف بائى (كأساس البلاغة للزمخشرى وكالمعاجم العربية الحديثة) .

أما المعاجم المعنوية أو معاجم الموضوعات فهى التى تتخذ الدلالة أساسا فى الترتيب ، ويمكن الإشارة إلى أن بدايات التأليف فى هذا النوع من

المعاجم تعود إلى مجموعات من الرسائل أو الكتب التى ألفت مبكرة والتى تفرعت إلى :

١- كتب الحشرات ، وتشتمل على الكتب التى ألفت عن الحشرات والهوام مثل كتاب أبى خيرة الأعرابى ، وكتابى الحيات والعقارب لأبى عبيد (ت ٢١٠هـ) وكتاب النحل والعسل لأبى عمرو الشيبانى (ت ٢٠٦هـ) وغيرها من الكتب التى تناولت الحشرات وصفاتها .

٢ - كتب الخيل ، وهى الكتب التى تناولت أعضاء الخيل وصفاتها مثل كتب : النضر بن شميل (ت ٢٠٤هـ) ، وأبى المنذر هشام بن محمد الكلبى (ت ٢٢٤هـ) ، وأبى عمرو الشيبانى ، وقطرب (ت ٢٠٦ هـ) ، وأبى عبيدة ، وغيرها من الكتب التى توالت فى هذا المجال .

٣ - كتب خلق الإنسان ، وتضمنت هذه الكتب شرح أعضاء جسم الإنسان ، والألفاظ التى تطلق عليها ، وتعرض بعضها لأمور الحمل والولادة والسن ، وبعضها الآخر للصفات الخلقية والخلقية .(٣٨)

وقد تطورت هذه الأنواع من الكتب إلى نوع آخر لم يعد قاصرا على موضوع واحد ، بل تعداه إلى شرح موضوعات عدة تجمعها صفات مشتركة ، وذلك مثل كتاب الغريب المصنف لأبى عمرو الشيبانى ، والغريب المصنف لقطرب ، والغريب المصنف لأبى عبيد القاسم بن سلام ، والذى يشتمل على أكثر من ثلاثين كتابا فى موضوعات مختلفة مثل خلق الإنسان ، والنساء ، واللباس ، والطعام والشراب ... إلخ .

ويندرج تحت هذا النوع من الكتب كتاب الصفات للأصمعى ، وكتاب الصفات للنضر بن شميل ، والذى يحتوى على موضوعات مثل : خلق الإنسان ، والجود والكرم وصفات النساء ، والأخبية

والبيوت ، وصفة الجبال والشعاب ، والإبل والغنم ... إلخ (٣٩)

وهكذا كانت هذه الرسائل أو الكتب البداية الطبيعية لتأليف المعاجم المعنوية ، والتى توجت بمعجم "المخصص" لابن سيده فى القرن الخامس الهجرى ، وسنتناول فى الصفحات التالية النقاط الآتية :

١ – الأساس النظرى الذى انطلق منه أصحاب المعاجم المعنوية .

٢ – أهم الانتقادات التى توجه إلى جمع المادة اللغوية وتصنيفها عند علماء العربية فى هذا المجال .

٣ – التطبيق العملى الذى اتبعته هذه المعاجم .

أولا : الأساس النظرى :

يذكر ابن قتيبة أن كتاب أهل زمانه قد استطابوا الدعة ، واستوطئوا مركب العجز وأعفوا أنفسهم من كد النظر وقلوبهم من تعب التفكر ، ولما كان يخشى أن يزيد الأمر سوءا جعل له حظا من عنايته ، وجزءا من تأليفه ، فعمل لمغفل التأديب كتبا خفافا فى المعرفة ، وفى تقويم اللسان واليد يشتمل كل كتاب منها على فن وأعفاه من التطويل والتثقيل حتى يسهل حفظه ودراسته.(٤٠)

وليست كتبه هذه للمبتدئين ، أو كما يقول : لمن لم يتعلق من الإنسانية إلا بالجسم ، ومن الكتابة إلا بالاسم ، ولم يتقدم من الأداة إلا بالقلم والدواة ، ولكنها لمن شدا شيئا من الإعراب ، ولابد له – مع هذه الكتب – من النظر فى الأشكال لمساحة الأرضين ... ومن النظر فى جمل الفقة ومعرفة أصوله ... ولابد له – مع ذلك – من دراسة أخبار الناس ، وتحفظ عيون الحديث ، ليدخلها فى تضاعيف سطوره متمثلا إذا كتب ، ويصل بها كلامه إذا حاور .(٤١)

ويتضح من النصوص هذه أن هدفه تقديم خدمة للمتأدبين والكتاب ، وذلك بإطلاعهم على أسرار العربية وألفاظها ، حتى يستعملوا تلك المفردات فى معناها

الدقيق ، وفى دلالاتها المحددة ، فمن أراد أن يعبر عن معنى ما فعليه أن يعى اللفظ الصحيح الذى وضع لهذا المعنى ، ومن ثم وجب على هؤلاء المتأدبين أو الكتاب أن يعلموا مفردات الأبواب والموضوعات التى وردت عنده ، هذا بالإضافة إلى معرفة الأشياء الأخرى كأشكال مساحة الأرضين ، وما يتصل بها ، وفى جمل الفقه وأصوله ، وأخبار الناس وأحوالهم ، أى أن الهدف تعليمى عملى .

وكان هدف الثعالبى قريبا من ذلك ، حيث يشير إلى أنه كانت تجرى فى مجلسه (مجلس أبى الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالى) – آنسه الله – نكت من أقاويل أئمة الأدب فى أسرار اللغة وجوامعها ولطائفها وخصائصها ، مما لم يتنبهوا لجمع شمله ، ولم يتوصلوا إلى نظم عقده ، وإنما اتجهت لهم فى أثناء التأليفات ، وتضاعيف التصنيفات ، لمع يسيرة كالتوقيعات ، وفقر خفيفة كالإشارات فيلوح لى – أدام الله دولته – بالبحث عن أمثالها ، وتحصيل أخواتها ، وتذييل ما يتصل بها وينخرط فى سلكها ، وكسر دفتر جامع عليها وإعطائها من النيقة (الجودة والمبالغة) حقها .

ثم يذكر الثعالبى أنه أخذ عن العلماء السابقين واقتفى آثارهم ، وأنه جمع فى التأليف بين أبكار الأبواب والأوضاع وأتى لها باللغات والألفاظ الملائمة. (٤٢)

وقد أكد هذا المعنى ابن خلدون ، حيث يشير إلى أن هذا النوع من المؤلفات يحتاج إليها الأديب فى فنى نظمه ونثره حذرا من أن يكثر لحنه فى الموضوعات اللغوية فى مفرداتها وتراكيبها ، وهو أشد من اللحن فى الإعراب وأفحش. (٤٣)

أما ابن سيده فيذكر أن الهدف من تأليف معجمه أنه لما ظهرت حاجتنا إلى اللغة لمكان التعبير عما نتصوره ، وتشتمل عليه أنفسنا وخواطرنا أحب أن يجرد فيها كتابا يجمع ماتَنَشَّر من أجزائها شعاعا وتَنَثَّر من أشلائها حتى قارب العدم ضياعا ولا سيما هذه اللغة المكرمة الرفيعة ... والتى هى مادة كتاب

الله تعالى الذى هو سيد الكلام لا يأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه ولما وجد أن تأليف القدماء جاء نشرا غير ملتئم ونثرا ليس بمنتظم ، حيث لاكتاب يعلمه إلا وفيه من الفائدة ماليس فى صاحبه ، ولم يركتابا مشتملا على جلها فضلا عن كلها أراد أن يضع كتابا شاملا كل ألفاظ اللغة ، يقول : "فأشرأبت نفسى عند ذلك إلى أن أجمع كتابا مشتملا على جميع ما سقط إلى من اللغة إلا مالا بال به ، وأن أضع على كل كلمة قابلة للنظر تعليلها ، وأحكم فى ذلك تفريعها وتأصيلها ، وإن لم تكن الكلمة قابلة لذلك وضعتها على ما وضعوه"(٤٤) .

ويشير ابن سيده كذلك إلى الهدف الذى ذكره السابقون ، وهو خدمة الفصيح المدره والبليغ المفوه والخطيب المصقع والشاعر المجيد المدقع ، فإنه وإن كانت للمسمى أسماء كثيرة ، وللموصوف أوصاف عديدة تنقى الخطيب والشاعر منها ما شاءا ، واتسعا فيما يحتاجان إليه من سجع أو قافية. (٤٥) .

ويتضح من هذه النصوص أن هدف ابن سيده هو وضع كتاب يشمل ألفاظ اللغة ومفرداتها التى تناسب الموضوعات والأبواب المتنوعة ، حتى يتسنى لنا التعبير عما يجول فى أنفسنا وخواطرنا من معان وأفكار ، هذا بالإضافة إلى هدف هام آخر ، ألا وهو التعبير عن المعنى المعين باللفظ المناسب والكلمة الصحيحة .

وليست هذه الأهداف بعيدة عن الأهداف التى أراد تحقيقها علماء الغرب من دراسة لغاتهم فى إطار نظرية الحقول الدلالية ، حيث كانوا يهدفون إلى حصر ألفاظ اللغة وجمعها ، ثم انطلقوا من ذلك إلى محاولة ربط دلالة الكلمة بمجموعات دلالية تشترك معها ، وقد سبق أن أشرنا إلى تشبيه " ابسن " صلة الكلمة بالكلمات الأخرى التى تشترك معها دلالياً بالفسيفياء حيث يؤدى تناسب الكلمة مع الأخرى إلى توضيح دلالة كل واحدة منهما ، حيث تشترك كلها فى وحدة شعورية تندرج فى نظام أعلى ، ولا تندمج فى تجريد أسن .

وقـد وردت هذه الفكرة عند " ترير " أيضاً ، حيث تأثر " ترير " نفسه بأفكار "ابسن " (٤٦) .

ثانياً: التطبيق العملى :

إذا ما ألقينا نظرة على كيفية تنظيم علماء العربية (سنختار منهم على سبيل المثال : ابن قتيبة ، والثعالبى ، وابن سيده) للموضوعات أو الأبواب التى احتوت عليها كتبهم فإننا نجد أن تنظيمهم يندرج بصفة عامة تحت البدء بالكليات أو الموضوعات العامة وينتهى بالجزئيات أو الموضوعات الخاصة ، وكما يقول ابن سيده : " إنه قدم الأعم فالأعم على الأخص فالأخص ، والأتيان بالكليات قبل الجزئيات " ، وسنعود إلى الحديث مرة أخرى عن ابن سيده . أما الآن فإننا نود أن نعرض بشىء من التفصيل إلى ترتيب الموضوعات عند ابن قتيبة والثعالبى وابن سيده .

ابن قتيبة :

يبدأ ابن قتيبة بالعام ، وهو باب المعرفة ، ومنه معرفة أصول أسماء الناس والنباتات كالنخل والحيوانات كالخيل ، ثم يبين الفروق بين ألوان شتى من الصفات والأشياء ، مثل باب فروق فى الأسنان أو فى الأفواه أو فى الصفات ، وينتقل بعد ذلك إلى معرفة فى الطعام والشراب ، وفى الطير والهوام والحشرات ، والنوادر، وباب تسمية المتضادين باسم واحد .

ويبدو من النظرة الأولى فى هذه الموضوعات أنها لا تغطى كل مجالات الدلالة ، وإذا ما قلنا على سبيل التوسع أن كل باب من هذه الأبواب يشير إلى حقل دلالى واحد فإننا نجد أن العلاقة بين بعضها والبعض الآخر قد تتحقق مثل العلاقة بين الحقول التى تتحدث عن الإنسان أو الحيوان أوالنبات ، ولكننا نفتقدها فى أحيان أخرى مثل باب معرفة الآلات الذى يتناوله بعد باب شيات الغنم، ثم تنتهى بأبواب صوتية وصرفية ونحوية.

الثعالبى:

وإذا كان الثعالبى يرى أنه جمع فى التأليف بين أبكار الأبواب والموضوعات

فـإننا نرى أن الأبواب التى جـاء بهـا تنقسم إلى قسمين : قسم الموضوعات الذى طرقه من سبقه من العلماء من أمثال ابن قتيبة ، وقسم يعد إضافة ، حيث لم ترد موضوعاته فى الأبواب التى تناولها سابقوه ، إن أبواباً مثل الباب الأول « فى الكليات » الذى يتناول فصولاً عدة فى ذكر ضروب من الحيوان والثياب والطعام ، والباب الرابع عشر « فى أسنان الناس والدواب » ، والباب الخامس عشر « فى الأصول والرءوس والأعضاء والأطراف » والباب الثالث والعشرين « فى اللباس وما يتصل به ، والسلاح وما يضاف إليه » وردت عند ابن قتيبة ، على حين لم ترد أبواب مثل الباب السادس عشر « فى صفة الأمراض والأدواء » والباب الرابع « فى أوائل الأشياء وأواخرها » والباب الواحد والعشرين « فى الجماعات مثل فصل فى ترتيب جماعات الناس وتدريجها من القلة إلى الكثرة » ، كما نلاحظ أن بعض الدلالات تتكرر بألفاظ أخرى فى أكثر من باب مثل صفات المرأة التى وردت فى أحد فصول الباب السابع عشر ، وقد مر حديث عن السمينة من النساء فى أحد فصول الباب الخامس ، ومثل الفصل الذى يتحدث فيه عن ضروب من الحيوان الذى ورد فى الباب الأول ، ثم يتحدث عن الحيوانات فى الباب الثانى ، وفى الباب السابع عشر ، وهو بعنوان " فى ذكر ضروب الحيوان والحشرات " ، وربما كان السبب الذى أوقع الثعالبى فى هذا الأمر هو أنه كان يتناول جانباً واحداً من الشىء أو من الموضوع الذى عقد له الباب مثل باب " الملء والامتلاء " الذى يتحدث فيه عن الملء فى أنواع شتى ، مثل فلك مشحون ، وكأس دهاق ، وواد زاخر ، وبحر طام ، ونهر طافح ... إلخ ، ومثل باب فى الطول والقصر فى الإنسان.

وينبغى الإشارة إلى أن القسم الثانى من كتاب " فقه اللغة " وهو " سر العربية " يتناول غالباً مسائل نحوية وصرفية ، كما يتناول بالإضافة إلى ذلك

مسائل تدخل فى البلاغة مثل التشبيه والاستعارة والتجنيس والطباق والكناية والإلتفات والحشو .

وإذا كان كتاب " فقه اللغة " قد اشتمل على أبواب وموضوعات أعم وأشمل من الجزء الذى ورد فى كتاب "ابن قتيبة " فإننا نرى أنه – على الرغم من ذلك – لم يجمع كل المجالات الدلالية أو جميع الموضوعات .

ويبقى بعد ذلك أن نأتى بمثال يوضح مدى عمق اللغويين العرب فى التمييز بين حقول الكلمات المختلفة وبين دلالات الألفاظ ومعانيها ، يقول «الثعالبى» فى تصنيف الألفاظ التى تتحدث عن أنواع الموت « فصل فى تفصيل أحوال الموت من الباب السادس عشر » :

إذا مات الإنسان عن علة شديدة قيل: أراح ، قال العجاج :

أراح بعد الغم والتغمم

فإذا مات بعلة ، قيل : فاضت نفسه « بالضاد » ، أو فجأة فبظاء ، وإذا مات من غير داء ، قيل : فطس ، وفقس ، عن الخليل ، وإذا مات فى شبابه ، قيل : مات عبطة واحتضر ، فإذا مات عن غير قتل ، قيل : مات حتف أنفه ، وأول من تكلم بذلك النبى صلى الله عليه سلم ، فإذا مات بعد الهرم ، قيل : قضى نحبه ، عن أبى سعيد الضرير ، أومات مسافراً ، قيل : ركب ردعه ، فإذا مات نزفاً ، قيل : صفرت وطابه ، عن ابن الأعرابى ، وزعم أنه يراد بذلك خروج دمه من عروقه "(٤٧).

ويمكن أن يقارن ذلك بالحقل الدلالى لكلمة الموت كما ورد عند ڤايسجرير الذى فرّق فيه بين أنواع الموت المختلفة ومبيناً الكلمات التى تعبر عن كل نوع منها مثل: مات ، انتهى ، انتقل إلى الحياة الأخرى، لبى نداء ربه ، نام نوماً أبدياً ، توفى ، سقط صريعاً ، انقطع نفسه ، هلك ، لقى حتفه ... إلخ . وقد أورد كلمات حقل الموت على شكل دائرة (٤٨) .

ابن سيده :

يعد كتاب « المخصص » الذى يقع فى سبعة عشر سفراً أو جزءاً أضخم

معجم دلالى وضعته العرب ، وقد أخذ المادة اللغوية من سابقيه ، حيث اعتمد ابن سيده – كما يقول – على كتب يعقوب ابن السكيت وأبى عبيد وثعلب وأبى حنيفة فى الأنواء والنبات ، والفراء والأصمعى وأبى زيد وأبى حاتم وكراع والنضر ابن شميل وغيرهم (٤٩) .

ويذكر ابن سيده طريقة تناول المادة اللغوية داخل المعجم قائلاً : إنه.قدم الأعم فالأعم على الأخص فالأخص ، والأتيان بالكليات قبل الجزئيات والابتداء بالجواهر والتقفية بالأعراض على ما يستحقه من التقديم والتأخير ، وتقديمنا كم على كيف، وشدة المحافظة على التقييد والتحليل ، مثال ذلك ما وصفته فى صدر هذا الكتاب حين شرعت فى القول على خلق الإنسان فبدأت بتنقله وتكونه شيئاً فشيئاً، ثم أردفت بكلية جوهره ثم بطوائفه ، وهى الجواهر التى تأتلف منها كليته ، ثم ما يلحقه من العظم والصغر ، ثم الكيفيات كالألوان إلى ما يتبعها من الأعْراض والخصال الحميدة والذميمة"(٥٠) .

وإذا ما ألقينا نظرة على أبواب المعجم ، أو كما سماها ابن سيده "الكتب" فإننا نجد أن الكتب من الأول حتى السابع عشر تدخل فى مجال الدلالة، أما الكتب الأربعة الأخيرة فإنها تندرج فى مجالات الصرف والنحو والأصوات .

أما فيما يتصل بعلاقة الكتب أو الأبواب بعضها بالبعض الآخر فإننا نعثر على نوع من العلاقة أو الصلة بين بعض الأبواب مثل الصلة بين الأبواب التى تتناول الإنسان والحيوان « مثل كتب الخيل والإبل والغنم والوحوش والسباع والحشرات والطير » التى ترد متتالية من الكتاب السابع حتى الثالث عشر ، على حين نفقد هذه الصلة بين هذه الكتب وكتاب الأنواء « مثل باب ذكر السماء والفلك وأسماء المنازل وصفاتها والبروج » التالى لها .

أما فيما يتعلق بترتيب الموضوعات داخل الكتاب الواحد فإننا نلاحظ أن ترتيبها لا يخضع أحياناً لأى منطق ،

فهذه أبواب الأمراض « جـ ٤ / ص ٦٤» تندرج عنده فى كتاب الطعام ، كما يتضمن هذا الكتاب أيضاً الكلام عن آثار الديار ونحوها ، والبيوت وما فيها وما حولها « جـ ٤ / ص ١٢٠ وما بعدها » كما نجد أن كتاب السلاح فى السفر السادس يتضمن أسماء الموت وصفاته .

ويمكن القول إن الكتاب الواحد قد يشتمل أحياناً على أشتات من الموضوعات التى ليست لها صلة بعنوان الكتاب ، وذلك مثل كتاب النخل «جـ ١١ / ص ١٠٢» الذى يتضمن بالإضافة إلى النخل والنباتات المعادن كالذهب والآثار واقتيافها ومعرفة أماكن المياه ونحوت الطريق ، والبرق ، و القرب والأياب ، والسكون والطمأنينة ، والاختلاط ... والكتاب وآلاته ، والقراءة والجواب والغناء والرقص واللعب ، والإيمان والصلاة والآذان والزكاة .

ونلاحظ أن ابن سيده يتناول أحياناً الشىء أو الموضوع فى أكثر من موضع مثل باب الآثار الذى يرد عنده تابعاً لكتاب الطعام « جـ ٥ / ص ١٢٠ » ، ثم يرد مرة أخرى تابعاً لكتاب النخل « جـ ١١ / ص ٣٣ » ، أو مثل باب أمراض العين والأسنان وعيوبهما الذى يوجد مندرجاً فى كتاب خلق الإنسان «جـ ١» ، ثم يوجد باب آخر خاص بالأمراض « جـ ٥ / ص ٦٤ » .

ونلاحظ أخيراً أن ابن سيده يخصص أحياناً كتاباً أو باباً لبعض الأشياء أو الحيوانات أو النباتات الهامة فى حياة البدوى مثل إفراده النخل بكتاب خاص « جـ ٢٢ / ص ٣٣ » ، وذلك لما نعرفه من أهمية النخلة فى حياة العربى الذى يعيش فى الصحراء معتمداً على أجزائها وعلى ثمارها .

ثالثا : أهم الانتقادات التى توجه إلى المعاجم المعنوية :

وهكذا يمكننا – بناء على الملاحظات التى أشرنا إليها – تلخيص أهم العيوب التى يتصف بها جمع المادة اللغوية وتصنيفها داخل المعاجم المعنوية عند العرب على النحو التالى :

١ – وجود علاقة ضعيفة أو عدم وجودها كليـة بين الأبواب أو الموضـوعـات المتتالية التى تندرج فى حقل دلالى واحد .

٢ – تناول الشىء أو الموضوع فى أكثر من مكان واحـــد داخل الأبواب الدلالية المتعددة .

٣ – عدم وجود منهج واضح فى جمع المادة اللغـوية وتصنيـفـهـا ، على العكس مما نجده فى نظرية الحقول الدلاليـة التى قسمت فيـها الحقول «كما نجد عند ڤايسجرير » (٥١) .

حسب مجالاتها إلى :

أ – حقول الكلمات فى مجال مظاهر الطبيعة .

ب – حـقـول الكلمـات فى مـجـال المظاهر المدنية .

جـ– حـقـول الكلمـات فى مـجـال الروح.

هذا على الرغم من وجـود بعض العيوب التى يمكن أن توجه إلى المحـاولات الأولى من المعـاجم المبكرة فى إطار نظرية الحقول الدلالية فى الغرب .

٤ – الحدود بين الحقول الدلاليـة غيـر دقيقة « هذا إذا ما أطلقنا مصطلح الحـقـول الدلاليـة على الأبواب فى المعـاجم الدلاليـة عند العرب » ، ولا يقـتـصـر هذا العيب على المؤلفات العـربيـة ، بل نجـده فى مـؤلفـات الغـربيين أصـحـاب نظرية الحـقـول الدلالية ، ويرجع " شفارتز Schwarz " السـبب فى ذلك إلى أن المحـتـوى اللغوى يمتد من حقل إلى حقل دون فراغات ، كمـا أن خيـوط الربط بين الحقول ليست منقطعة تماماً ، وقد أعلن أنه ينبغى علينا ألا نتوقع وجود خطوط واضحة بين الحقول الدلالية ، ويمكننا اكتشاف الحدود بين الحقول عندمـا يقل التطابق بين أعـضـاء الحقل الدلالى الواحد (٥٢) .

ويمكننا تشبيه الحقل الدلالى – كما فعل ڤايسجرير – بدائرة فى المياه

حدثت بسبب إسقاط حجر فيها ، حيث تكاد معالمها تختفى كلما ابتعدنا عن مركز الدائرة ، فالفروق المعنوية للكلمات التى تنتمى إلى حقل دلالى واحد تختفى كلما كانت الكلمات بعيدة دلالياً عن المركز ، وقد انتقد كثير من علماء الدلالة هذا التصور لمناطق الحدود ، ومن هؤلاء العلماء " أولمان " الذى يقول : إن بعض الكلمات والحقول تكون متداخلة أكثر من أن تكون محددة(٥٣) . وكما تقول " أكسار Oksaar " : أثبت البحث أن نظرية حقل الكلمة لا تصلح للغة بصفة عامة ، لأنه يفترض عدم وجود حدود واضحة بين الحقول المفردة ، كما لا توجد فى اللغة دائماً حدود دقيقة بين مجموعات الكلمات ، وليس الحقل الكلى متساوياً عند كل الناس ، إن الحديث عن تحديد للحقل الكلى ليس حديثاً موضوعياً (٥٤) .

٥ – عدم مراعاة التغيرات الدلالية للألفاظ عبر الزمن ، حيث لم يتتبع علماء العربية معانى المفردات وتغيراتها من العصر الجاهلى حتى العصر العباسى ، أى يمكن القول إنهم أهملوا الأساس الدياكرونى فى تناول المفردات داخل الأبواب أو الكتب ، وهذا ما قام به الغربيون الذين اهتموا بالجانبين السنكرونى والدياكرونى معاً .

محمود جاد الرب

كلية الآداب – جامعة المنصورة

الهوامش :

١ – جكـــلر : Geckler Harst : Strukturelle Semantik und Wortfeldtheorie, Wilhelm Fink Verlag, Munchen, 1982, S. 84 - 89.

٢ – أولـــان :: Ullmann Stephen Grundzuge der Semantik, die Bedeutung in Sprachwissenschaftlicher Sicht, Walter der Gruyter, Berlin, New York, 1972, S. 144, Titel der originalausgabe: The principles of semantics, 1957.

٣ – سوسير: Saussure Ferdinand De : Grundfragen der allgemeinen Sprachwissenschaft, 2. auflage, Berlin, 1967, S. 150, 151

٤ – أولـان : Ullmann S.: Semantik, eine Einfuhrung in die Bedeutungslehre, S. Fischer Verlag, Frankfurt am Main, 1973, S. 301, 302 .

٥ – جكلر : Geckler : Strukturelle Semantik, S. 89.

٦ – أولمان : Ullmann : Grundzuge der Semantik, S. 145, 146.

٧ – بلانكى :: Blanke Gustav H. Einfuhrung in die semantische Analyse, Max Hueber Verlag, Munchen, 1973, S. 48, 49.

وانظر أيضـاً " ليـونز " : Lyons John : Semantik, Band 1. , Verlag CH, Beck, Munchen, 1980, S. 272 - 277.

٨ – ليـونز : Lyons John : Semantik, Band 1. S. 26

وانظر " جكلر " :, Strukturelle ... S. 42 - 46 و"أولمان " : Grundzuge der Semantik ... , S. 146.

٩ – جكلر : Strukturelle Geckler : Semantik, S. 101.

١٠– ليـــونز : Lyons : Semantik, Band 1. S. 265.

١١ – جكلر : Strukturelle Geckler : Semantik, S. 265.

١٢– المرجع الســـابق ص ١٠٣ ، ص ١٠٤ .

١٣– المرجع الســـابق ص ١١٠ ، ص ١١١ .

١٤– المرجع السابق ص ٩٧ .

١٥– المرجع السابق ص ٩٩ .

١٦– نقلاً عن " جكلر " ص ١٤٧ .

١٧– جكلر : Strukturelle Semantik, S. 153 - 155.

١٨– المرجع الســـابق ص ١٦٠ ، ص ١٦١ ، وانظر أيضاً " ليونز " : Semantik, Band 1. S. 270.

١٩ – جكلر : Strukturelle Semantik, S. 150 - 165.

٢٠– بلانكى : Einfuhrung in die semantische Analyse, S. 139.

٢١– بركلى : Brekle Herbert E. Semantik, UTB, Verlag Munchen, 1974 (2. verbesserte Auflage, Wilhelm Fink Verlag) S.66, 67.

٢٢– جكلر : Strukturelle Semantik, S. 205 - 208.

٢٣– بلانكى : Einfuhrung ..... S. 51 - 55.

٢٤– المرجع الســـابق ص ٢٥١ – ص ٢٥٤ وانظر أيضـــاً " جكلر " : Strukturelle, S. 212.

٢٥– جكلر : Strukturelle ... , S. 214 - 216.

٢٦– المرجع الســابق ص ١٧٩ – ١٩٥ « بتصرف » .

٢٧– المرجع الســـابق ص ٢٠١ – ص ٢٠٤ .

٢٨- ليـونز : Semantik, Band 1. S. 328.

٢٩- المرجع الســـابق ص ٢٩١ - ص ٢٩٦ ، وانظر أيضاً " ليونز " : Einfuhrung in die moderne Linguistik, S. 471 - 478.

٣٠- ليونز : Semantik, S.300- 302.

٣١- د. أحمد مختار عمر : علم الدلالة ، الطبعة الثانية ١٩٨٨ ، عالم الكتب ، ص ٨٤ ، ص ٨٥

٣٣- بلومفيلد : Language, 1976, p. 11.

وانظر أيضـــاً " روبنز " : Ideen- und Problemgeschichte der Sprachwissenschaft,Athenam Verlag, 1973, S. 7.

٣٤- روبنز : Ideen- und Problem- geschichte ... S. 6.

٣٥- بنبـــورج : Pinborg : Antike Grammatiktheorie, S. 91, im Buch : Grundzuge der Liter-atur- und Sprachwissen-Schaft, Band 2. , Sprachwis-senschaft,

وانظر أيضاً د. عبد الرحمن بدوى : الخطابة لأرسطو : الترجمة العربية القديمة (١٩٥٩) ص ٩١ .

٣٦- د. حسين نصار : المعجم العربى ، نشأته وتطوره ، دار مصر للطباعة (١٩٨٨ / ١٤٠٨) جـ ١ / ص ٣٣ وما بعدها .

٣٧- ابن خلدون : المقدمـــة ، الطبـعـــة الرابعـــة (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م) ص ١٠٨ .

٣٨- د. حسين نصار : المعجم العربى نشـــأته وتطوره ، جـ/١ ص ١٠٠ - ص ١٠٨ .

٣٩- المرجع الســـابق ص ١٦٥ ، ص ١٦٦ .

٤٠- ابن قتيبة : أدب الكاتب ، تحقيق وضبط : محمد محيى الدين عبد الحميد الطبعة الرابعة (١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م) ص ٦ ، ص ٨ ، ص٩ .

٤١- المرجع السابق ص ٩ ، ص ١١ .

٤٢- الثعالبى : فقه اللغة ، وسر العربية شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ، تحقيق : مصطفى السقا وآخرين (١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م) ، ص ٣٠ .

٤٣- ابن خلدون : المقدمة ، ص ٥٤٩ .

٤٤- ابن سيده : المخصص ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربى ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ص ٨ ، وكرر المعنى نفسه فى أماكن أخرى .

٤٥- المرجع السابق ، ص ١٠ .

٤٦- جكلر : Strukturelle Semantik, S. 89.

٤٧- الثعالبى : فقه اللغة وسر العربية ، ص ١٥٢ .

٤٨- بلانكى : Einfuhrung ... , S. 66, 67.

٤٩- ابن سيده : المخصص ، ص ١٢ ، ص ١٣ .

٥٠- المرجع السابق ، ص ١٠ .

٥١- جكلر : Srukturelle Semantik, S. 111.

٥٢- نقلاً عن جكلر : Srukturelle Semantik, S. 147.

٥٣- المرجع السابق ، ص ١٤٩ ، ص ١٥٠ .